ورشة حول عناصر الدراما والدراما التكونية

التكون عبر التعليم: محاولة في التعلم الفردي عبر العمل الجماعي

تنفيذ وإعداد: منال غنيم، ريما طه، كنانة الدجاني
إشراف وتقديم: مالك الريماوي

مقدمة

تأتي هذه المقالة في سياق قراءة التجربة؛ تجربة العمل مع المعلمين والمعلمات، لبناء تاريخ جديد من تجربة التعليم، المعلمات ينخرطن في برامج للتكون المهني والتطور المعرفي، عبر الانخراط في معادلة: نجرب، نكتب، نتأمل، نعيد إنتاج الخبرة عبر تمريرها لآخرين.

المعلم/ـة هنا ليس دوراً أو مهنة، أو ذاتاً مغتربة عن واقعها ومغيبة عن فعلها، بل هو شخص تتعانق فيه الذات مع الفعل الذي هو فعلها، ومع المعرفة التي هي معرفتها، المعلمة هنا كيان نام يبني تجربة تخصه، يفعلها وينفعل فيها، يشكلها ويعيد تشكيل موقعه في المجتمع وفي الحقل المعرفي وفي الفضاء السياسي العام. المعلمة هنا تعيد، عبر الانخراط في تطوير قدراتها والانهمام بتطوير معلمين آخرين، ترتيب وجودها، عبر جمع فاعلية الذات وإنتاجية الموقع.

المعلمات في هذا السياق يكملن حلقة النمو المهني، ويعبرن مسار التجريب والكتابة إلى نهايته، ما تفتق عن القراءة والتدريب تحول إلى تجارب نوعية في التعليم الصفي، عبر التأمل والكتابة انطبع على شكل معرفة مكتوبة في الجسد، المعلمات ينخرطن مع معلمات أخريات لتمريرهن في التجربة؛ تجربة التعليم عبر توظيف الدراما. إن المعلم الفلسطيني لا ينتظر ولا يحتاج لأكثر من بعض الممكنات، لا ليؤكد حضوره، فهذا قد حققه، بل ليقبض على تجربته وينتجها كحكاية للجسد الفاعل، ويمارسها كجسد يصنع قصة المعرفة والتغيير، المعرفة تنتج عبر الفعل الحسي في السياق الواقعي؛ أي جسداً إنسانياً يترجم إرادة الحياة إلى فعل في الوجود، فعل يوظف الأدوات البشرية التي هي تاريخ الفعل الإنساني في تماسه مع العالم، يطور الأدوات، يكوثر الإشارات والرؤى، يعبئ الجسد بالطاقات، ينتج انثناءات جديدة في الجسد العام، يفتحها للمعنى، ويفتق فيها مسارب للمعنى الممكن.

ما .. وكيف؟

قد يسأل البعض ما أهمية أن تقوم ثلاث معلمات بتقديم ورشة عمل لمعلمين ومعلمات أخريات؟ إن الجواب عن سؤال ما، يكمن في الجواب عن سؤال كيف تم ذلك؟ لقد تم ذلك لأن المعلمات الثلاث كان مطلوب منهن عمل ورشة مجتمعية في موضوع الدراما كجزء من متطلبات دبلوم الدراما. تمت الورشة في مركز المعلمين في نعلين، وهو أيضاً مركز في التطوير التنموي المجتمعي عبر تفعيل دور المعلمين مهنياً ومجتمعياً، وقدمت الورشة لمعلمين ومعلمات يحضرون طوعاً لمركز نعلين من كل القرى المجاورة ضمن مسار تدريبي هو مسار التكون المهني.

إن ما يظهر جلياً هو حالة من الفعل الاجتماعي المتقدم، يمارسها معلمون ومعلمات عبر خلق مواقع للعمل الجماعي الطوعي، وفي حقل مهم هو حقل التفاعل المعرفي والمهاراتي، لتبادل المعنى

والخبرات وكيفيات تفعيلها في العمل التربوي والعمل الاجتماعي، وتعبئة هذه المواقع بإرادة العمل وبالرغبة في التطور الذاتي والنمو المهني، فمركز نعلين هو «ظاهرة ثقافية اجتماعية متولدة، من خلال شراكات مجتمعية ومؤسساتية يديرها وينسق عملها المعلمان يوسف ومحمد الخواجا، وينتمي لها عشرات المعلمات والمعلمين». منال وريما وكنانة، معلمات يتابعن نموهن المهني، يتحملن كل العناء اللازم للانخراط في المدرسة الصيفية، ويذهبن إلى نعلين للقيام بتدريب لمعلمين آخرين. المعلمون والمعلمات المنخرطون في الورشة يتعمق إيمانهم بما يفعلون، عبر ما يقدم لهم، مقاربات جديدة حول الحياة والتعليم والثقافة، توصيفات فاعلة للذات والمهنة والدور، إستراتيجيات عمل وكفايات تعليم تحقق للمعلم الفاعلية وللطالب الانخراط والمتعة وتعطي للتعليم أبعاداً إنسانية ومعرفية واجتماعية، من خلال تعليم للمعرفة وللفعل وللكينونة، وللعيش سوياً. والأهم أنها تقدم للمعلمين أفقاً مفتوحاً للنمو المهني، فمن يعلمهم هن معلمات مثلهم عبرن التجربة، تدربن، وجربن، ثم كتبن مواد، وهن الآن يقمن بتدريب آخرين، إنه المسار الذي حلمنا به دوماً، نراه ونرى كيف أصبح مرئياً من قبل المعلمين والمعلمات.

نعلّم.. نتعلم ونعيش موقعاً بين الموقعين

نخطط معاً، ما معنى أننا نخطط معاً؟ أن نخطط معاً يعني أن نبني حيزاً عقلياً مشتركاً للفكر، فما هو الفكر؟ هو أشخاص يفكرون، والفكر هنا ليس فكر شخص منفرد، بل هو مسار من تداخلات عدة، التواءات وانحناءات وانبثاقات، نخطط نبني خطاطات عمل، نختبرها في الممارسة، نعمل معاً، نلاقح بين الأفكار والإستراتيجيات، نطور قدراتنا على رصد الإشارات وقراءتها، نتفاعل معاً ونفعل كفريق.

إن ما قامت به المعلمات الثلاث، هو مرآة ثلاثية المستويات، فهن في موضع المدرب، الذي كان قبل الآن لشخص آخر أشرف على تدريبهن، موقع العارف، الخبير، المدرب، لكنهن الآن في هذا الموقع، ويكتشفن كم هو موقع مرتبك وهش وحساس، ويشاهدن المتدربين، وهو الموقع الذي كن يشغلنه قبل الآن، بكل ما فيه من حيرة وجدية واستهجان وقلق، يرين أنفسهن ويرين غيرهن، هن الآن في موقع وسطي، بين موقع كان لهن وهو الآن للآخرين يلعبون دورهن، وموقع كان لغيرهن هن الآن فيه يلعبن دورهم، إنه لعب درامي داخل الحياة، أو الحياة كلها داخل لعبة الدراما، لعبة درامية حول دور الدراما في التعليم، إننا في الحياة، في مواجهة مسائل التعليم والثقافة والحياة، ولكننا نقاربها الآن عبر فعل كأنه على حافة الواقع، في المسافة غير المعرّفة، الواقعة بين الأنا وأدوارها المتعددة، بين الحياة كواقعة ثقيلة والحياة كمسرحية يمكن مشاهدتها وتأملها. في هذه المسافة الملتبسة، يمكننا إعادة النظر في التعليم، في ممارستنا له وممارسة غيرنا له، ما يقوي قدرتنا على إيقاظ المراق الذاتي فينا، عبر تغريب أنواتنا عما تفعله، فنفعل الفعل ونراقبه في الوقت ذاته.

إن ما جرى هو فعل متعدد المستويات، لقاء معلمات معاً لبناء خطة حول التعليم، لتعليم زملاء لهم عن مفهوم الدراما وعناصرها وكيفية اشتغالها في التعليم كسياق للبحث، وبحث في معنى العالم، واستبطان فردي وجماعي حول دورنا ومسؤوليتنا عن العالم وعن الناس فيه. لم تقم المعلمات الثلاث ببناء خطة فحسب، بل قمن بمراجعة ما تدربن عليه، وعملن على بناء خطة ليقدمن خلالها مادة للمعلمين ومعلمات تمكنهم من بناء معرفة حول أهمية الدراما كسياق للتعليم، وهو ليس مجرد عمل لإقناع آخرين بأهمية الدراما، أو بناء فهم لهم حول الدراما. إن ما حدث في الواقع هو اختبار حقيقي للمعلمات حول أهمية الدراما بالنسبة لهن، وبناء فهم أعمق حول كيفية عمل الدراما، فما حدث هو إنتاج معرفة عبر التفكير مع آخرين، وهو بناء فهم داخلي عبر التفكير من موقع آخرين متشككين، فما كان يحدث مع المعلمات هو العمل للإجابة عن أسئلة من نوع: هل هذا سيكون واضحاً لهم؟ هل هو مقنع؟ هل هو مفهوم؟ وفي بحثهن عما هو واضح ومفهوم ومثير للآخرين، كن يعدن إنتاج المادة، لكي تكون مفهومة ومثيرة وممكنة لهن. فما خلف ذلك هو بناء فهم داخلي وتبنيه، يتضح ويتعمق ويعمل بشكل أكثر.

في الورشة، كان هناك تعليم لآخرين وللذات، المعلمات يتعلمن ما يعلمنه بعمق، فأعمق مستويات التعلم هو تعلمنا الشيء عندما نعلمه لآخرين، تعلمن مما أنجزنه، وتعلمن كيف يبنين على شغل بعض، وتعلمن كيف يتعاملن مع الطارئ، وكيف يدمجنه بسرعة فيما هو مخطط، وكيف يفتحن المخطط ليتسع للأسئلة وللمبادرات.

محطات الورشة

يوم الخميس 1 نيسان 2010، عقدنا ورشة عمل مدتها 3 ساعات في قلعة خواجا – نعلين، بعنوان «عناصر الدراما وتمرين حول الدراما كسياق تعلم». وقد حضر 18 مشاركا من قرية نعلين والقرى المجاورة لها. تم تنفيذ الورشة من قبل المعلمات منال غنيم، وريما طه، وكنانة الدجاني، وأشرف عليها مالك الريماوي.

وهدفت الورشة إلى :

- التعريف بماهية الدراما .
- عناصر الدراما .
- بعض تقنيات الدراما .
- الدراما كسياق تعلم .
- تمرين في بناء الدراما التكونية .
- التأطير وبناء الدور .
- أدوار المعلم والمعلم في دور .
- دور الدراما في بناء فهم أعمق للعالم وتعميق المسؤولية .
- ميزة الدراما في كونها تمكننا من العمل هنا والآن من جهة، والتحرك في المكان والزمان في الوقت نفسه من جهة أخرى .

وقفة تأمل

«كيف لنا ونحن ما زلنا نحاول وضع أقدامنا في بداية الطريق أن نقدم فكرة مما تعلمناه إلى معلمين من أمثالنا؟ لقد اجتمعنا مرات عدة، بعد أن اتفقنا انأ وزميلتي (منال وكنانة) على تقديم ورشة للمعلمين نعرّف فيها المعلمين على مفهوم الدراما في التعليم، وعناصرها، وبعض التقنيات في الدراما، ولكن القلق والتوتر كانا مصاحبين لنا أثناء التحضير والتخطيط، فليس سهلاً أن نقدم مادة جديدة علينا لمعلمين مثلنا، ولكنها كانت تجربة جديدة بكل المقاييس، فلأول مرة أعمل مع معلمين وللمعلمين» (المعلمة ريما طه) .

التخطيط

عملية التخطيط لم تكن سهلة كما اعتقدت، فقد قمنا باختيار الموضوع بسهولة، وذلك لأنهم لا علم مسبق لديهم بالدراما مطلقاً . أما عملية التخطيط للعمل، فقد استمرت أياما وأسابيع، قمنا خلالها بتغيير المخطط مرات عدة، حتى وصلنا للنتيجة النهائية، التي اعتقدنا أنها خطة محكمة، وزعنا من خلالها الأدوار بين ثلاثتنا، وكانت على النحو الآتي :

1. لعبة تعارف (قصة الاسم) .
2. كتابة التصور الأولي لدى المعلمين عن مفهوم الدراما .
3. لعبة فيها توتر .
4. القيام بمشهد ارتجالي لحدث درامي بتقسيمهم إلى أزواج .
5. مناقشة عناصر الدراما بناء على الحدث الدرامي السابق .
6. العمل في سياق قصة على بعض تقنيات الدراما في التعليم .

شكل العمل والتنفيذ

وصلنا في الوقت المحدد إلى قرية نعلين، وطبيعة المكان الجذابة جعلتني أنسى قلقي ولو للحظة . انهالت علينا الأسئلة من بعض المعلمين الذين حضروا باكراً، عن موضوع الورشة، وعن عملنا، وبعض التفاصيل التي أشعرتني بجدية ما نقوم به .

التعارف

بدأنا بشكرهم على حضورهم، ثم أخبرتهم بموضوع الورشة، بعد ذلك طلبت منهم وكنوع من التعارف أن يذكر كل شخص منهم اسمه مع ذكر قصة الاسم، من الذي أختار له هذا الاسم؟ وما معناه؟ وهل يرتبط بمناسبة أو حادثة أو لحظة؟ وبدأت بنفسي، ثم طلبت من منال أن تعرف عن نفسها، فكنانة، وما لفت انتباهي أن اغلبهم لا يعرف لماذا سمي بهذا الاسم، أو من سماه، وقال إنه سوف يبحث في الموضوع .

أما البعض الآخر، فقد أخبرنا عن قصص مميزة؛ مثل تهاني، فقصتها أنها ولدت ثاني أيام العيد، فسميت بذلك، مي أبوها الذي سمّاها، لأنه أستاذ لغة عربية، أما مجاهد، فسمي كذلك لأنه جاهد وبقي على قيد الحياة بعد وفاة أخوين له من قبله . هكذا كسرنا الحاجز الأول .

التقييم

في هذه الفقرة كان اهتمام المعلمين واضحاً، إلا أن بعضهم لم يكن يعرف سبب تسميته باسمه، هذه بداية موفقة للتعرف على المعلمين، يمكن الاستفادة منها، حيث تساعد المعلمين في تذكر أسماء بعضهم من خلال القصة المرتبطة بأسمائهم .

ماذا تعني لك الدراما؟

بعد الانتهاء من اللعبة، حضرت زميلتنا منال لتدير نقاشاً مع المعلمين حول الدراما وماهيتها، وطلبت منهم أن يعبروا عن مفهومها بالكتابة على أوراق، وتعليقها على السبورة، ثم تم النقاش حول ما كتبوه . هنا عبر كل معلم عن معرفته الخاصة بالدراما . بعضهم قال : **تمثيل، قصص، توضيح، توصيل فكرة ما، جذب انتباهنا، تعبير عن قضية بواسطة أدوات، إعطاء درس بطريقة مرحة، إيصال مفاهيم . وكانت أقواها : استخدام الخيال لتوصيل فكرة ما .** من هنا ربطنا ما قيل بتعريف الدراما .

طلبت من أحد كاتبي البطاقات أن يفسر لنا ما يقصده «الدراما يعني تمثيل»، وسألت بقية المجموعة إذا كان لأي منهم تعليق على الموضوع، ثم أوضحت بدوري أن الدراما في سياق تعليمي لا تشترط أن نكون ممثلين ماهرين، ويكفي أن نعيش الدور المطلوب منا، ونقتنع به ونأخذه على محمل الجد، إذ أن التصرف عكس ذلك قد يؤدي إلى خسارة الموضوع الذي نعمل عليه.

التقييم

رأينا فيما كتبه المعلمون والمعلمات بعض المفاهيم التي تتعلق بالدراما، ولكنها بحاجه للتوجيه والتطبيق، مع أنه عند طرح السؤال بدا عليهم التعجب، كأنهم يتساءلون: ما وراء هذا السؤال؟ . . . المناقشة التي تمت بعد ما قام به المعلمون أشبعت بعض التساؤلات لديهم وليس كلها (المعلمة كنانة الدجاني).

لعبة التوتر

وحتى نوضح لهم أهمية التوتر في الدراما، أردنا أن نلعب معهم لعبة فيها توتر، فطلبت منهم كنانة أن يشكلوا دائرة صحيحة، وأخبرتهم بالتعليمات التي تقتضيها اللعبة، وهي تعتمد على التركيز وتمرير الكرة مع المحافظة على الكرة دون وقوعها، بعد ذلك أدخلت كرة ثانية وثالثة، وهكذا قمنا بتوتيرهم أثناء اللعب.

مشهد ارتجالي

وحتى نصل بهم إلى عناصر الدراما، قسمتهم إلى مجموعتين، وأخبرتهم أننا سنقوم بعمل مشهد ارتجالي، وحتى نوضح لكم المطلوب، فالمجموعة (أ) ستخرج مع منال إلى خارج الغرفة، لتشرح لهم المطلوب؛ ألا وهو أنهم سعاة بريد، عليهم إيصال رسالة رسمية مغلقة إلى هذه الزوجة، وليس معهم الوقت الكافي، فقد وضعوا سيارة البريد في مكان ممنوع، وعليهم أن يوصلوا الرسالة بأي طريقة.

والمجموعة (ب) ستبقى مع كنانة في الغرفة، لتخبرهم بأنهم سيمثلون دور زوجة قلقة على زواجها، ولديها مشاكل مع زوجها، وأولادها السبعة يبكون وتخشى على حياتها الزوجية.

بعد ذلك طلبت منهم أن يقفوا في صفين متقابلين، ثم يبدأ كل زوجين متقابلين بمشهد ارتجالي حسب المعطيات التي أعطيت لهم، وفعلاً بدأت المجموعات العمل، ولكني أحسست بأن معظمهم لم يحسن القيام بالمطلوب، ربما بسبب خجلهم، فبعضهم استغرب طلبنا منه، وأحد المعلمين رفض أن يكون في دور الزوجة، حتى أقنعناه بذلك، أو بسبب عدم سماع التعليمات بوضوح، ناهيك عن أنها التجربة الأولى لهم.

أوقفنا المجموعات، إلا مجموعة رأينا أنها حققت عناصر الدراما، طلبنا من أعضائها إعادة المشهد، فيما كانت المجموعات الأخرى تراقب.

التقييم

هل هذه الدراما؟ هل ما جرى هو دراما؟ هنا هي رؤوس أقلام وتم عملها بناء على فهمنا، الدراما ليست دراما، وإنما وهم نقتبسه من واقعنا لنعيشه مره أخرى بناء على ما فهمناه.

هذه الفقرة لم تكن بتلك القوة التي نرجوها إذ أن المعلمين لم يعيشوا الدور الذي حضروا له . . . كان أول دور يقوم به المعلمون، وقد شعرنا نحن والمعلمين بالارتباك قليلاً، إذ أيضاً كانت أول ورشه لنا استهدفت المعلمين أمثالنا. شعرنا أيضاً بالمسؤولية الملقاة على

أكتافنا، إذ أنهم ليسوا طلاباً فقط، وإنما علينا حمل رسالة تعلمناها لإيصالها بشكل جيد.

بعد ذلك ناقشت المعلمة ريما مع المعلمين عناصر الدراما من خلال المشهد الذي قاموا به، وكان على الشكل الآتي:
حول ماذا دارت إحداث المشهد؟
فأجابوا: تسليم الرسالة.
إذن الفعل الدرامي: تسليم الرسالة.
ما الأدوار في المشهد؟
الأدوار: الزوجة والساعي.
ما هدف الساعي؟
الهدف: تسليم الرسالة.
ما هدف الزوجة؟
الهدف المضاد: عدم استلام الرسالة.
ما الغرض في المشهد؟
الغرض: الرسالة.
ما المعيقات في المشهد؟
الوقت – قلق الزوجة – بكاء الأولاد – الوضع النفسي الاجتماعي للزوجة.
وما الذي سببته هذه المعيقات؟
التوتر.

هذه عناصر الدراما، وأهم عناصرها هو التوتر الذي لا تتم الدراما دونه. وتطور النقاش إلا أن الدراما تبدأ مع بداية التوتر، وتعمل في المسافة التي تسبق الصراع، فالدراما تبنى على التوتر الذي ينتج عن تضاد الأهداف والمصالح، ويتحول إلى سلوكات وأفكار ومشاعر، نستكشفها عبر تبني وجهات النظر المتضادة الناتجة عن تضاد الأهداف والمصالح، وهذا يشكل أساساً لأي تعلم يسعى إلى أن يكون مثمراً.

عرض لبعض تقنيات الدراما

أردنا من خلال ذلك أن نطبق على أرض الواقع بعض الأنشطة التي يمكن للمعلمين تطبيقها في صفوفهم، ونريهم كيفية القيام بها، وفائدة كل تقنية.

السياق

قامت المعلمة كنانة بقراءة القصة، وهي كما يلي:

«في قرية وادعة تقع في أسفل الجبل، يعتمد الناس فيها على الزراعة مصدراً للرزق، تعيش عائلة ممتدة في سعادة. هذا الجبل عبارة عن بركان، وهو خامد منذ سنوات، ولكنه بين حين وأخر تصدر منه أصوات، وفي يوم من الأيام بدأت تخرج منه أدخنة، وأصدرت الحكومة قراراً بإخلاء المنطقة في أسرع وقت حفاظاً على حياة الناس».

التقييم

تمت قراءة القصة باللغة الدارجة بين الفصحى والعامية، لجذبهم بدايةً لما سنقوم به ومساعدتهم على التخيل، لا بأس بطريقة السرد إذاً. وبعد الانتهاء من السرد، لمسنا فضولاً لديهم عما سيحصل. ولكني أحسست بأن الأسلوب يحتاج إلى إدخال بعض التقنيات عليه، مثل التلاعب في نبرة الصوت، الصمت، . . . الخ.

رسم على الحائط

أخبرتهم بأن الجد في هذه العائلة الممتدة يحتفظ بصندوق، ويضع فيه أغراضاً. أريد من كل واحد منكم أن يرسم غرضاً من أغراض الجد، ويضعه في الصندوق. وزعت عليهم أقلاماً وأوراقاً، ووضع كل واحد منهم غرضاً داخل الصندوق الذي قمت برسمه على الأرض. بعد ذلك سألتهم حول الأغراض التي رسموها، فمنهم من رسم أوراقاً ثبوتية للأرض، سألته لمن هذه؟ ولماذا يحتفظ بها؟ ومنهم من رسم صورة للعائلة، وقال: لأن العائلة مهمة. وهكذا. . . أوضحت لهم أن أي رسم يقوم به الطالب علينا أن نأخذه على محمل الجد، بحيث نستثمر كل غرض من الأغراض، وعلى المعلم أن يعرف كيف يوظف الأسئلة المناسبة التي ترفع من مستوى الدراما.

التقييم

هنا تم إعطاء أول إستراتيجية من تقنيات الدراما؛ ألا وهي الرسم على الحائط. كان هناك اندماج واضح، إذ شعرنا بالاندماج مما كتبه المعلمون، لكن الفضول لا يزال ينتابهم.

المعلم في دور

أعلنت منال أن الجد قد طلب من أحفاده وأولاده الاجتماع بهم، وأخبرتهم بأنها ستقوم بدور الجد وهم أحفاده وأولاده، وأنها ستضع إشارة للدخول في الدور، وعند نزعها تكون قد عادت معلمة، وهذه الإشارة كانت الحطة الفلسطينية.

«عند دخولها في الدور، رأيت الاستغراب والدهشة في عيون المعلمين، ولكنهم ما لبثوا أن اندمجوا في الدور، وبخاصة بعد أن شعروا الجدية من منال والثقة بما تقوم به. أحببت ما قامت به منال في الدور من أسئلة رفعت مستوى الحوار والنقاش» . . . كان الغرض من هذه التقنية تعريض الطلاب لموقف يضطرون فيه إلى اتخاذ موقف، والاختيار بين الأرض والحياة، هل يستطيع الإنسان التخلي عن تاريخه.

بعد أن انتهت من دورها كجد، ناقشت مع المجموعة ما قامت به في هذه التقنية.

التقييم

هنا تم توضيح الإستراتيجية الثانية، وهي المعلم في الدور. كان نقاشاً رائعاً، وشعرنا بدخول المعلمين بالدور، وهنا كان واضحاً مدى اهتمام المعلمين بما نقوم به، إلا أن أحدهم أبدى قليلاً من عدم الاكتراث، ولكنه فعل ذلك من داخل الدور، باعتباره من الأحفاد الطماعين الأنانيين، وغير مكترث لا بالجد ولا بالأرض، وإنما الاهتمام بنفسه وفضوله بامتلاك الصندوق وما بداخله.

الكتابة في الدور

أردنا من خلال هذه التقنية أن نوظف التعبير عن المشاعر والأفكار حتى يتمكن المعلمون من تقريب الصورة والاستفادة السريعة والعملية من هذه التقنية في مدارسهم.

أخبرتهم المعلمة كنانة أن أهل القرية قرروا المغادرة، ولكنهم قبل مغادرتهم بقليل كتبوا ما يجول في خواطرهم من أفكار ومشاعر، وطلبت منهم بعد الكتابة أن يفكروا في أي مكان يفضلون وضع رسالتهم في القرية.

بعد الانتهاء من الكتابة، طلبت المعلمة كنانة من كل واحد منهم قراءة ما كتب في ورقته، ناقشتهم وسألتهم.

التقييم

من خلال إستراتيجية التعبير والكتابة، بدأت المشاعر تظهر عبر ما بدا من حيرة وارتباك على المشاركين، وعبر بحثهم عن دور ذي صلة بين الخيال الدرامي والواقع الذي يعيشونه، وألم الذكريات والدراما التي يعيشونها، وذلك بدا واضحاً من المعلمين وما كتبوه إذ أن اعتبر أحدهم نفسهم طفله صغيرة تكتب لأنها رحلت عن أرضها وهي صغيرة، وبعضهم الأخر رسم دائرة بدايتها هي نهايتها، ليظهر أن البداية والنهاية واضحة، وهي نفسها. وآخر كتب تاريخ الرحيل، لعل أحدهم يجد الورقة وتدون في التاريخ، فقد أراد أن يترك علامة ليذكرها التاريخ، حيث لا تسير الأيام والسنوات. قال: هنا كانت قرية ما وشخص ما وحدث ما وقصة ما . . . هذه دراما تبني التعبير، وتحرك مشاعر عميقة، وتعبر عن واقع اليم، فالدراما تتجاوز تعليم المفهوم باتجاهات طبقات الوعي الإنساني، أفعال البشر، دوافعهم، مآربهم، مصادرهم، رؤاهم للعالم.

«ينتهي مخططنا هنا، ولكن الدراما لم تنته بعد، هذا الأمر أدى إلى إرباكنا قليلاً، فلم نحضر أنشطة إضافية نقوم بها تحسباً لمثل هذه الحالة، فوجدت نفسي أعرض على المجموعة تقنية أخرى من تقنيات الدراما».

أفكار من الرأس

هنا، ودون تخطيط، طلبنا من المعلمة منال أن تعود في دور الجد، وتضع الحطة «أي إشارة الدور» وتجلس على الكرسي أمامهم، ثم طلبت منهم أن يفكروا بما يفكر به الجد في اللحظات التي تركه فيها أحفاده وأولاده. عم الصمت، ولم يتحرك أحد، فطلبت من المعلمة كنانة أن تبدأ لتريهم كيفية القيام بذلك، تلاها المشرف مالك، ثم بدأت المجموعة بالتحرك، ومنهم من خرج أكثر من مرة ليعبر عما يجول في رأس الجد من أفكار.

بعد الانتهاء، سألتهم: ماذا نستفيد من تطبيق هذه التقنية مع طلابنا؟ فجاءت الإجابات متعددة.

يفكرون وهم مكان شخص آخر، يحسون كيف يفكر الإنسان في اللحظات الخطرة أو الحاسمة، يعبرون بالكلام، يرون العالم بعيون الآخرين، يفكرون بالأرض وبالميراث المعنوي . . . الخ.

هنا جمدنا الدور من خلال وضع الحطة على الكرسي، وطرحنا على أنفسنا ونحن في موقع الأحفاد والأبناء سؤالاً: كيف يمكننا دفع الجد ليترك المكان ويلحق بنا بعد أن نغادر؟ وتم اقتراح مجموعة من الأفكار منها: ترك الصندوق بشكل متعمد وفي مكان يجعله يراه بعد مغادرتنا. ترك طفل صغير نائم في سريره. وكلا الاقتراحين كان سيضع الجد في معضلتين كبيرتين؛ الأولى عليه أن يختار تمسكه بالبيت كمكان وبالصندوق كتاريخ معنوي، والثانية بين البيت كماضٍ للعائلة والطفل كمستقبل وامتداد.

واتفقنا أن هذا الموضع هو مكان مؤهل للاستكشاف، وأن الدراما مرنة، ويمكننا العودة إليه، فأهمية الدراما أنه يمكننا من خلالها السفر في المكان والزمان كيفما نشاء ومتى نشاء، ولذلك يمكننا العمل على ذلك في أي وقت فالسياق متوفر، نعيد التذكير به ونبني الأدوار وإشارتها، ونختار نقطة انطلاق ونشرع في الانخراط.

وعندها خرجنا من الدراما، وطرحنا سؤالاً: ماذا يمكننا أن نعمل الآن؟ وأوضحنا أن هناك إمكانيات وسيناريوهات متعددة، يمكن بناؤها على الذي يريد الطلاب استكشافه، وهذا يمنح الطلاب أن يختاروا موضوع البحث، ويمكن بناؤه بناءً على ما نريده كمعلمين: ما الذي نريده من الدراما؟ وهذان الخياران أو عبر الجمع بينهما يمكننا إعادة تبئير الدراما في مكان معين. فقمنا بسؤالهم كطلاب: ماذا تريدون أن تعرفوا عن الموضوع؟ وسجلنا ملاحظات على اللوح،

وأخبرناهم أننا بهذه الطريقة نكون قد أشركنا الطلاب في اختيار الموضوع الذي يفضلون أن يعرفوا عنه.

أنت كطالب في الدور: **ماذا تريد أن تعرف بعد هذه الأحداث؟**

- محتويات الصندوق؟
- مصير الجد ومصير الصندوق؟
- هل حدث البركان أم لا؟
- ما مصير العائلة بعد الرحيل؟
- الخراب الذي حصل في البلد؟
- مشاعر الأحفاد والأبناء أثناء خروجهم؟
- مشاعر الجد بعد خروج أبنائه؟

ثم أضفنا تقنيات أخرى في الدراما استناداً إلى ما قمنا به سابقاً.

الرسم في الدور وإعادة إنتاج السياق

أخبرناهم بأنهم قد عادوا بعد انفجار البركان، وطلبنا منهم رسم القرية بعد انفجار البركان، والفائدة من هذه التقنية تخيل القرية بعد دمارها، والإحساس بشعور الأهالي عند عودتهم إلى القرية بعد دمارها.

التأطير

قمنا بتقسيم المجموعة في قسمين؛ أهالي القرية الذين طلب منهم أن ينظروا إلى القرية من بعيد لحظة وصولهم، والقسم الأخر هم صحافيون طلب منهم إعداد تقرير صحافي ولقاء مع الأهالي يسألونهم فيه عما حل بالقرية ولهم وما الأسباب.

المعلم في دور

أثناء معاينتهم للقرية دعاهم إلى اجتماع وأخبرهم من داخل الدور بأنه مندوب لشركة حفريات يعتقد البعض أنها السبب في إثارة البركان، ولكنه يريد منهم التكتم على الموضوع، ويعرض عليهم تعويضاً مناسباً لإعادة بناء بيوتهم، ويعرض على الصحافيين عرضاً بنشر إعلانات الشركة في صحفهم ومجلاتهم، وفي الوقت نفسه يهددهم إذا تم ذكر اسم الشركة في التقرير. ثم طلب من الصحافيين إعادة التقرير الذي أعدوه من قبل بناءً على المعطيات الجديدة.

. . . هنا بدا واضحاً الصراع بين الخيبة والأمل والعتاب والمفاجأة مما يحدث. ودار نقاش بين المندوب وأهل القرية. وقرر أهل القرية أن يذكروا دور شركة الحفريات ويبحثوا عن كل الأدلة، ويخططوا لأكبر حملة دعائية، وكذلك الصحافيون، فقد قرر معظمهم الالتزام بالحقيقة.

إن الدراما هنا وهي تتصدى لأسئلة مهمة من نوع: هل ننحاز للحقيقة أم نساوم لأجل منفعة ما؟ هل نواجه القوة الظالمة حتى لو كان ذلك سيتسبب بفقداننا بعض المغانم؟ فإنها تنفتح على معضلات جديدة، من نوع: كيف سيقنع الصحافيون صاحب المجلة أو الصحيفة بأهمية تقاريرهم؟ وكيف يمكن للأهالي مواجهة شركة الحفريات . . . الخ؟

الانطباعات

بعد انتهاء الورشة طلبت منهم أن يكتبوا انطباعاتهم عن الورشة، وبصراحة لم أكن أتوقع أن تكون انطباعاتهم بهذه الإيجابية، وهذه بعض العبارات التي تكررت في انطباعات المجموعة:

- «كان لقاءً مفيداً وفعالاً، فقد استفدنا من الورشة معلومات جديدة حول موضوع الدراما».
- «الموضوع جديد بالنسبة لي ومفيد، وأعتقد أنني سأستفيد منه في عملي في المستقبل».
- «ورشة عمل ممتعة جداً، بحيث لا يوجد مجال إلا للمتابعة والمشاركة».
- «أفكر كيف أطبقه مع الطالبات، وأتمنى أن أثير دافعيتهن».
- «لمست بعض الفائدة، ولكن بتقديري كان يمكن أن يكون ممتعاً أكثر».
- «أضافت لي المفهوم الصحيح للدراما، ومن هنا بدأت لدي وجهات نظر عدة بالنسبة للتعامل مع طلابي».

انطباعاتي عن الورشة

«كانت تجربة مثيرة بالنسبة لي، فلأول مرة أقف أمام معلمين وأكسر حاجز الرهبة، كما استفدت الكثير من زميلتي منال وكنانة، فلكل منهما أسلوبها الخاص، استفدت كيف أكملنا على ما هو مخطط، وأعجبني كيف ارتجلنا وبنينا على ما قمنا به من خطوات.

تعلمت الكثير من هذه الورشة، فعلي أن أكون مستعدة لأي طارئ في المستقبل عند القيام بمثل هذه الورش، التخطيط ليس كل شيء في العمل، إنما القدرة على التصرف في المواقف، الارتجال وبناء الخطوات بناء على عمل المجموعة، أمر لا بد منه في بعض الأحيان، عامل الوقت مهم في عملية التخطيط. بعد انتهاء الورشة، لم أكن راضية تماماً عنها، فقد أحسست في كثير من الأوقات بنقص الخبرة وعدم القدرة على ربط الأمور بعضها ببعض، والقدرة على التصرف في المواقف، ولكني بعد أن قرأت انطباعات المعلمين ورأيهم في الورشة، وكلما نظرت فيما قمنا به، شعرت بالرضا، وعلمت أنني أستطيع أن أكون أفضل من ذلك بقليل مع المران والدربة» (المعلمة ريما طه).

تقييم عام

هذه التجربة لها تأثير كبير، حيث شدت أعصابي وأرخت أفكاري. أن الوقوف أمام معلمين وإعطاء درس نحن قد تعلمناه من معلمين آخرين شيء رائع ذو معنى كبير، وأنا أعتبر نفسي محظوظة بهذه الفرصة التي فاجأتني بنفسي، فمن خلالها علمت وتعلمت ما لم أتعلمه ولا يمكن تعلمه لا من أشخاص ولا من كتب ولا روايات، فعيش دور في دور درامي هي الدراما بحد ذاتها.

على الرغم من أن هناك بعض الأخطاء والملابسات والأحداث التي لم نتوقعها، فإن التجربة تكفي لتعلمنا ما لا يمكن تعلمه إلا من خلالها (المعلمة كنانة الدجاني).

تنفيذ وإعداد: منال غنيم، ريما طه، كنانة الدجاني
إشراف وتقديم: مالك الريماوي– مركز القطان

من ورشة «المسرح في التعليم» التي نظمها المركز في مدرسة الأرثوذكسي.